مقدمة :

شكل " العقل " عبر تاريخ الفلسفة مفهوما مركزيا، بل مثل لحظة تأسيس الفلسفة نفسها، في تمييزها عن ما ينافي العقل، فحددت طبيعته وموضوعه ووظائفه وأنماط علاقاته .

والعقل هو ما يملكه الإنسان ليميز بين الأفعال والأقول من حيث صلاحها وفسادها ونفعها وضرهاولكن فلسفات كثيرة ظهرت منذ آلاف السنين زاخرة بالجدل والبحث عن ماهية العقل وظل الجدل قائم حتى أتى نعمت غاندي بطريقته في تناول الاصطلاحات في كتابه الأول فركز على لفظة الاصطلاح ودعا غلى الاتفاق على ما تعنيه اللفظة في تناول الاصطلاح دون الخوض في اختراع تعريفات تفرق وتضلل المتلقي خشية أن يكون الطرفان يتكلمان عن معنيين بلفظة واحدة.

والمعنى التقليدي والأكاديمي شبه المتفق عليه أن العقل هو مجموعة القابليات الإدراكية التي تمكن الوعي والإدراك والتفكير والذاكرة وهي مميزة للإنسان إلا أن أشكال اخرى من الحياة يمكن أن تكون لها صلة به. أسهم الجدل التقليدي في الفلسفة وعلم النفس والعلوم الدينية والمعرفية في دفع المفهوم نحو مزيد من الوضوح والتمييز لكن السؤال الجوهري يبقى علاقة العقل بالدماغ والجهاز العصبي وهو السؤال الذي عرف "مسألة العقل – الجسم" والتي تناقش الوجود الفيزيائي المادي للعقل بالإضافة إلى إشكالية قصر لعقل على الإنسان أم أننا

نستطيع الحديث عن أشكال أخرى من الحياة تمتلك عقلا. وقد غدا العقل عند البعض هو ما يمكن الكائن من الوعي الموضوعي والأفعال المتعمدة تجاه المؤثرات .

ولقد حوى القرآن فيما حوى تصوُّراً لجانب من علم الله الشامل، ليهتدي العقل البشري به، فيرتاد آفاق العالم المعلوم منها والمجهول، فتتَّسِعُ المدارك، ويسطع نور الإيمان المطلق بوحدانية الله؛ الَّذي بيده مفاتيح العلوم كلِّها. ففي الوقت الَّذي كانت دراسة العلوم الكونية والطبيعية، في نظر بعض الشرائع السماوية، أمراً محرَّماً في العصور الماضية، جاء الإسلام ليكون أجرأ مَنْ كشف الحجب عن العقل البشري، ذلك الكنز الهائل الَّذي يحمله الإنسان في رأسه، فأمره بالبحث والدراسة في البرِّ والبحر، والتفكر في النفس البشرية، لإدراك عظمة الكون الَّتي تنمُّ عن عظمة خالقه، وليستفيد من بديع صنع الله وينتفع به.

وإن القرآن الكريم ليتناول القضايا الكونية بطريقة مثيرة للاهتمام وآسرة للُّب، فهو يمسُّ موضوع المجهول منها مسّاً رقيقاً ولا يتوغَّل فيه، تاركاً لعقل الإنسان المجال واسعاً للبحث والدراسة والتمحيص، للوصول إلى قوانين الكون، والَّذي جعل الله تعالى له سنناً لا تتبدَّل، وأمر الإنسان أن يبحث عنها ويدركها، ويتعامل معها في حدود طاقته وحاجته. وفي هذا تشريف للإنسان، إذ أعطاه تعالى العينين والعقل وفيهما قُوَّتا الإبصار والبصيرة، ليشاهد ويفكر ويبحث ويتعمَّق متى شاء وأراد، والغاية الأهمُّ الَّتي ترجى من وراء ذلك هي الوصول إلى

الحقيقة الَّتي توصله بدورها إلى الخالق العظيم. وهذا كلُّه من توابع الإيمان ونتائجه، إذ لا معنى لإيمان غير مقترن بعملٍ ومتابعة للجهود، من أجل اكتشاف ما غاب عن علمنا الحالي، بما يرضي الله عنَّا، لنكون رسل العلم والعقل والتفكير، والمحبَّة والسَّلام والإسعاد .

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم ليس كتاب نظريَّات علمية، ولم يأت ليكون بنصِّه منهجاً للعلم التجريبي، بل هو منهج للحياة كلِّها، وسبيل لتحريض العقل ليعمل وينطلق، وتقييم للمجتمع دون أن يدخل في جزئيات وتفاصيل علمية بحتة؛ فمعرفة هذه التفاصيل متروكة للعقل بعد تقييمه وإطلاق سراحه. إذ يكتفي بالإشارة إلى القضايا الكونية، لأن تعريف الناس بمباحث العلوم الكونية ليس من مقاصد الشريعة، بل إن غايتها أن تجعلهم يتوصَّلوا إلى هذه المعارف بعقولهم واجتهاداتهم، فإذا اهتدَوُا إليها وقد علموا أن القرآن سبقهم في الإشارة إليها، والحضِّ عليها، استدلُّوا على أن القرآن الكريم ليس من كلام البشر، وبذلك يفتح أمامهم باب الهداية والإيمان بالله تعالى وبهذا الدِّين الخالد. وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم أشارت إلى بعض القضايا الكونية، فجاء العلم الحديث مصدِّقاً لها، ووقف خاشعاً أمام إعجازها الَّذي أَخْبَر عنه النبي الأمِّي محمَّد صلى الله عليه وسلم . قبل أربعة عشر قرناً . من خلال كتابٍ مُعجز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيل من الله العليم الحكيم.

ويشير لفظ " العقل " في الدلالة المتداولة إلى:

١. صفة التفكير الرزين والحكم السديد والسلوك المستقيم .
٢. صفة تميز الإنسان عن الحيوان .
٣. صفة مضادة للأهواء والخرافة والحمق وعدم الرشد .

وفي اللغة العربية يأخذ العقل طابعا عمليا أخلاقيا بوصفه قوة رادعة للأهواء، وكابحة للغرائز، ومضادة للحمق والحيوانية ، أما في اللغة الفرنسية تشير كلمة العقل إلى ملكة التفكير والكلام والنظام والذكاء والإستدلال والحكم والعلة والمبدأ والأساس والنسبة أو العلاقة الرياضية. وتبعا لذلك يصبح للعقل بعدا فكرا ولغويا وأنطولوجيا.

ويتضح من الدلالات المختلفة أن العقل ذاتي وموضوعي في نفس الوقت، واحد ومتعدد، كلي ونسبي... ومن هذه التقابلات تطرح إشكالية العقل الفلسفية:

- ماهي طبيعة العقل، فطري أم مكتسب؟
- هل العقل مجموعة مبادئ ثابتة أم أنه نسبي متطور؟
- هل العقل مستقل أم مختلط بأضداده؟

obeikan.com